ميخائيل شولوخوف...

و حياة القوزاقيين

في السهوب الجنوبية لروسيا و على ضفاف نهر الدون و في إحدى قرى القوزاق وُلِد الكاتب الروسي ميخائيل شولوخوف في الرابع و العشرين من إيارعام ١٩٠٥ و يُعتبَر من أشهر الروائيين الروس خلال القرن العشرين، نشأ و ترعرع في بيئة على الحدود الجنوبية لروسيا موطن القوزاق، و هي كلمة أصلها تركي تعني الفرسان، جلبهم قيصر روسيا ليكونوا له حصنًا منيعًا و حماة للوطن على الحدود الجنوبية مقابل استقلاليتهم.ازداد عددهم بانضمام مختلف الأجناس إليهم.

كتابات شولوخوف تُعتبَر واقعية اشتراكية تتمحور حول القوزاقيين و حياتهم الزراعية و الرعوية، حياة

بعوالمها العبثية و البطولية، عبَّرَ عن مشاكلهم و أثّرت بيئة القوزاق في كل أعماله الأدبية و ظهر أثر الحرب العالمية الأولى و الحرب الأهلية في روسيا عليهم لما شهدته روسيا من تغيرات جذرية.

أشهر رواياته هي «الدون الهادئ» و هي ملحمة تاريخية من أربعة أجزاء استغرق وقتا طويلا في كتابتها من ١٩٢٨ إلى ١٩٤٠ تُوِّج بجائزة نوبل للأدب عن هذه الرواية عام ١٩٦٥ التي نوَّهَتْ بها لجنة التحكيم لعمقها الفكري و تحليلها النفسي الأدق و وِحدة السرد، و تُرجِمَت إلى أربع و ثمانين لغة و منها اللغة العربية، إلى جانب رواية «أرضنا البِكر» و الرواية القصيرة و قصص من الدون تستعرض الحرب الأهلية الروسية. و قد شكَّ بعض النقاد أن يكون شولوخوف هو الكاتب الحقيقي لكل هذه الأعمال نظرًا لمحدودية تعليمه الذي لم يتجاوز الطور الابتدائي و كيف لملحمة تاريخية بحجم «الدون الهادئ» يكتبها و هو في سن الواحد و العشرين.

و رواية «الدون الهادئ» تكشف عن المشاكل و الصراعات و الحروب الدائرة رحاها، تدور أحداث الرواية في «تتارسكي» قرية على ضفاف نهر «الدون» بطلها غريغوري ميليخوف أو كما يُعرَف بغريشيا

قوزاقي، في فترة انضمام روسيا إلى الحرب العالمية الأولى لمحاربة الألمان و في سنة ١٩٢٠ سيطرت القوات البلشفية على منطقة الدون و كيف أثرت هذه الحرب على الأسر القوزاقية و قد ذكر الكاتب الأماكن و الأزمنة التي دارت بها أحداث الرواية، أمَّا في الجزء الثاني فيستعرض الكاتب الوضع بعد أن وضعتْ الحرب العالمية الأولى أوزارها و دخول روسيا في حرب جديدة، حرب أهلية و إحكام الثورة البلشفية قبضتها على منطقة الدون و ما أعقبه من معارك طاحنة و مذابح، و يستمر الكاتب في وصف تلك المعارك في الجزء الثالث ببراعة فائقة و يتحوَّل بطل الرواية غريشيا من مُجَنَّد في صفوف البلاشفة إلى مُتمرِّد، و موت كل الشخوص المحوريين في الرواية.

في الجزء الرابع يصف حياة القوزاق البسيطة و عاداتهم و حياتهم اليومية بما تمتاز به، و تبقى الحرب هي المأساة الكبرى و خاصة عندما تكون حربًا يتقاتل فيها الإخوة الأعداء و يبقى الوطن هو الضحية.

وقد توفي في الحادي و العشرين من شباط عام١٩٨٤ .

ميخائيل شولوخوف